

مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية

وحقيق الثواب والترجمة

سلسلة العقيدة الألبانية (٢٦)

## رسالة في إثبات صفة الكلام لله تعالى

للإمام

محمد ناصر الدين الألباني

المتوفى سنة (١٤٢٠هـ)

إعداد

د. شاوي بن محمد بن سالم آل نعمان

## رسالة في إثبات صفة الكلام لله تعالى

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فهذه رسالة في إثبات صفة الكلام لله تعالى، جمعتُ فيها شتات كلام العلامة محمد ناصر الدين الألباني الخاص بهذا الموضوع من جميع ما وقفتُ عليه من تراثه المطبوع والمسموع، مع ترتيب مسائله وتبويبها ليسهل على القارئ الكريم تناولها والوصول لما يريده منها.

وقد ضَمَمْتُ هذا الكتاب إلى عملي الموسوعي الذي منَّ الله به عليَّ موسوعة العلامة الألباني قسم العقيدة، لكن رأيتُ نشرها مفردة ليسهل تناوله للباحثين وطلاب العلم المعتنين بهذا الموضوع الخطير على وجه الخصوص، والله من وراء القصد.

وكتب

د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان

في صنعاء اليمن

حرسها الله من كل سوء ومكروه

## [ ١ ] باب كلام الله حقيقي يُسمع بحرف وصوت،

### وبيان بطلان قول الأشاعرة في ذلك

[قال الإمام:]

كان من فضل الله عز وجل أن سَخَّرَ علماء الحديث ليرحلوا إلى مختلف البلاد ليجتمعوا بمن يعلمون أنه عنده ولو حديث واحد، ليسمعوهم مباشرة منه، حتى لقد كان في هؤلاء بعض أصحابه عليه الصلاة والسلام، أحدهم اسمه عقبة بن عامر بلغه أن جابراً بن عبد الله الأنصاري المشهور عنده حديث وكان في مصر، فسافر من بلده أظنه يومئذ كان في المدينة إلى مصر، لماذا؟ ليسمع ذاك الحديث الذي قيل لهم أنه سمعه جابر من الرسول عليه الصلاة والسلام.

فخرج إليه جابر وتلقاه واحتضن أحدهما الآخر، قال: أنا ما أريد منك شيء إلا أنه بلغني أنك سمعت حديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام ونص الحديث فيما أذكر منه الآن «أن الله عز وجل ينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من قرب كما يسمعه من بُعد»<sup>(١)</sup>، وهذا الحديث من الأحاديث التي يتمسك بها أهل السنة حقاً وأعني بهم أهل الحديث الذين لا يتعصبون لمذهب في العقيدة كالماتريدية أو الأشعرية أو المعتزلة أو

(١) "الصحيحة" (٧/٢/٧٥٦-٧٥٨).

الجبرية، كما أنهم لا يتعصبون لمذهب في الأحكام الشرعية مذهب الحنفي أو المالكي أو الشافعي أو الحنبلي فضلاً عن مذاهب أخرى تبتعد كل البعد عن المذاهب الأولى أهل الحديث لا يتعصبون إلا للحديث، ولذلك نسبوا إليه وانتموا إليه، كما قال قائلهم:

أهل الحديث هم أهل النبي وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه  
وهذا جواب هذا الجاهل الذي قال: أنت أدركت الرسول، ما أدركوا  
الرسول، لكن الذين يشتغلون بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام  
كأنما هم يعيشون معه.

أهل الحديث هم أهل النبي وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه  
ولذلك أصبح معروفاً عند العلماء كافة لا نحاشي ولا نستثني فقهاء  
ومفسرين كلهم قالوا: مما دل عليه حديث الرسول عليه الصلاة والسلام  
القائل: «نَصَّرَ الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فرب حامل  
فقه إلى من هو أفقه منه ورب مبلغ أوعى له من سامع».

يقول العلماء كافة: ولذلك نرى النضرة في أهل الحديث لأنهم  
يشتغلون بكلام الرسول عليه الصلاة والسلام ليلاً نهاراً فصدق فيهم قول  
ذلك الشاعر العالم:

أهل الحديث هم أهل النبي وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه  
هذا الحديث حديث جابر لعقبة بن عامر يتمسك [انقطاع] كما يقول  
الاشاعرة والماتريدية أن كلام الله ومنه القرآن الكريم هو كلام نفسي،  
يعنون بأنه ليس بالكلام اللفظي يعنون بأنه ليس بالكلام المسموع، هذا

الحديث يبطل دعواهم ويؤكد قول الله عز وجل لموسى: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ (طه: ١٣) ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه: ١٤).

﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ (طه: ١٣) معناها أن ربنا عز وجل حينما كلم موسى كما قال في القرآن الكريم، ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤) كان موسى يسمع كلام الله عز وجل، أما تأويل الكلام الإلهي بأنه كلام نفسي فهو تعطيل للقرآن الكريم ولأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ومنها هذا الحديث الذي شد من أجله الرحلة أحد الصحابة إلى راويه الصحابي الذي سمعه من الرسول عليه الصلاة والسلام.

"الهدى والنور" (٢٠٣/٤٧: ٣٣: ٠٠).

## [ ٢ ] باب إثبات الكلام لله تعالى وذكر بعض من نفاه

[وصف أبو غدة شارح الطحاوية ابن أبي العز بالإمامة، فأراد الإمام الألباني إلزامه ببعض أهم المسائل العقدية التي قررها الشارح في عقيدته والتي يعلم الشيخ الألباني إنكار أبي غدة أو شيخه الكوثري لها فقال الإمام]:

قلت: فإذا كان أبو غدة مؤمناً حقاً بهذه الإمامة الملموسة المشهورة فأنا أختار له من كلام هذا الإمام سبع مسائل، فإن أجاب عنها بما يوافق ما ذهب إليه هذا الإمام المشهور من قلبٍ مخلصٍ فذلك ما نرجوه، وأعتذر إليه من إساءة الظن به، وإن كانت الأخرى فذلك مما يؤيد - مع الأسف - ما رميته به من المداراة .

[فذكر المسألة الأولى ثم قال]:

المسألة الثانية: قال الإمام [أي: أبي العز] تبعاً لأبي جعفر الطحاوي (ص ١٦٨) وأن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أن كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البشرية .

ثم شرح "الإمام" مذاهب الناس في مسألة الكلام الإلهي على تسعة مذاهب وبين أن مذهب السلف: أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وإنه يتكلم بصوت .

وشيوخ أبي غدة ينفي الصوت المسموع "مقالات الكوثري" (ص ٢٦)، ويقول في تعليقه على "كتاب البيهقي": "الأسماء والصفات" (ص ١٩٤): إن موسى عليه السلام لما كلمه الله تعالى تكليماً لم يسمعه صوته، وإنما أفهمه كلامه بصوت تولى خلقه من غير كسب لأحد....!

"تحقيق شرح العقيدة الطحاوية" (ص ٥٦ - ٥٧)

### [ ٣ ] باب من أدلة إثبات صفة الكلام

[قال رسول الله ﷺ]:

«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالفلاة؛ يمنع من ابن السبيل، ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر، فحلف له بالله: لأخذها بكذا وكذا، فصدّقه، وهو على غير ذلك، ورجل بايع إماماً؛ لا يُبايعه إلا لنديا؛ فإن أعطاه منها وفى، وإن لم يعطه منها لم يف».

[قال الإمام]:

(تنبيه): نقل المعلق على "الإحسان" (!) - مقراً - تأويل صفتي الكلام والنظر من صفات الله تعالى بالرضا والإعراض، ونحو ذلك !! وهذا من التأويل المذموم؛ المخالف لعقيدة السلف الصالح، والأصل إمرارها على ظاهرها على الوجه اللائق بعظمة الله وجلاله؛ كما في قوله سبحانه: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾. والموفق هو الله !!

"الصحيحة" (١٦٣٦/٣/٧-١٦٣٨).

## [٤] باب القرآن كلام الله

[قال الإمام معلقاً على قول صاحب الطحاوية]:

"وإن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﴿سأصليه سقراً﴾ (المدر: ٢٦) فلما أوعده الله بسقر لمن قال: ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ (المدر: ٣٢) علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر:

نقل هذا الكلام عن المصنف رحمه الله شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (٥٠٧/١٢) مستشهداً به وقال الشارح ابن أبي العز رحمه الله (ص ١٧٩ الطبعة الرابعة):

وهذا الذي حكاه الطحاوي رحمه الله هو الحق الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما وشهدت به الفطرة السليمة التي لم تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة. وقد افرق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال: ثم ساقها ومنها: الثالث: وهو أنه معنى واحد قائم بذات الله هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرانية كان تورا، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعري وغيره.

قال: وسابعها: أن كلامه يتضمن معنى قائماً بذاته هو ما خلقه في غيره وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

وتاسعها: أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

وقوله: "كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً" رد على المعتزلة وغيرهم؛ فإن المعتزلة تزعم أن القرآن لم يبد منه كما تقدم حكاية قولهم .

وقال الشيخ محمد بن مانع رحمه الله تعالى (ص ٨):

القرآن العظيم كلام الله لفظه ومعانيه، فلا يقال اللفظ دون المعنى كما هو قول أهل الاعتزال، ولا المعنى دون اللفظ كما هو قول الكلابية الضلال ومن تابعهم على باطلهم من أهل الكلام الباطل المذموم، فأهل السنة والجماعة يقولون ويعتقدون: أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ألفاظه ومعانيه عين كلام الله، سمعه جبريل من الله، والنبي سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من النبي، فهو المكتوب بالمصاحف، المحفوظ بالصدور، المتلو بالألسنة.

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله:

|                            |                          |
|----------------------------|--------------------------|
| وكذلك القرآن عين كلامه الـ | مسموع منه حقيقة ببيان    |
| هو قول ربي كله لا بعضه     | لفظاً ومعنى ما هما خلقان |
| تنزيل رب العالمين ووحيه    | اللفظ والمعنى بلا روغان  |

وقال الشارح رحمه الله (ص ١٩٤ - ١٩٥):

وكلام الطحاوي رحمه الله يرد قول من قال: إنه معنى واحد لا يتصور سماعه منه وأن المسموع المنزل المقروء والمكتوب ليس كلام الله وإنما هو عبارة عنه. فإن الطحاوي رحمه الله يقول: "كلام الله منه بدا". وكذلك قال غيره من السلف ويقولون: منه بدا وإليه يعود. وإنما قالوا: منه بدا؛ لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون إنه خلق الكلام في محل فبدا الكلام من ذلك المحل. فقال السلف: "منه بدا" أي هو المتكلم به فمنه بدا لا من بعض المخلوقات كما قال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (الزمر: ١) ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ (السجدة: ١٣) ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (النحل: ١٠٢). ومعنى قولهم: "وإليه يعود": يرفع من الصدور والمصاحف فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف. كما جاء ذلك في عده آثار.

وقولهم "بلا كيفية": أي: لا تعرف كيفية تكلمه به "قولاً" ليس بالمجاز "وأنزله على رسوله وحياً" أي: أنزله إليه على لسان الملك فسمعه الملك جبرائيل من الله وسمعه الرسول محمد ﷺ من الملك وقرأه على الناس. قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (الإسراء: ١٠٦) وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء: ١٩٣) وفي ذلك إثبات صفة العلو لله تعالى .

## [ ٥ ] باب القرآن كلام الله والرد على من خالف ذلك

[قال الإمام:]

إن من أكبر الفتن التي أصابت بعض الفرق الإسلامية بسبب علم الكلام أنه انحرف بهم عن الإيمان بأن القرآن الكريم هو كلام رب العالمين حقيقة لا مجازاً، أما المعتزلة الذين يقولون بأنه مخلوق فأمرهم في ذلك واضح مفضوح، لكن هناك طائفة تنتمي إلى السنة وترد على المعتزلة هذا القول وغيره مما انحرف فيه عن الإسلام ألا وهم الأشاعرة والماتريدية، فإنهم في الحقيقة موافقون للمعتزلة في قولهم بخلق القرآن وأنه ليس من قول رب العالمين، إلا أنهم لا يفصحون بذلك ويتسترون وراء تفسيرهم للكلام الإلهي بأنه نفسي قديم غير مسموع من أحد من الملائكة والمرسلين، وأنه تعالى لا يتكلم إذا شاء، وأنه متكلم منذ الأزل، وقد رأيت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بحثاً هاماً في إبطال تفسيرهم هذا فقال بعد أن أثبت قدم الكلام:

والكلام صفة كمال فان من يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، كما أن من يعلم ويقدر، أكمل ممن لا يعلم ولا يقدر والذي يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته وقدرته، وأكمل ممن يتكلم بغير مشيئته وقدرته إن كان ذلك معقولاً، ويمكن تقريرها على أصول السلف بأن يقال: إما أن يكون قادراً على الكلام أو غير قادر؛ فإن لم يكن قادراً فهو الأخرس، وإن كان قادراً ولم يتكلم فهو الساكت.

وأما الكلامية (متبوع الأشاعرة في هذه المسألة) فالكلام عندهم ليس بمقدور فلا يمكنهم أن يحتجوا بهذه، فيقال: هذه قد دلت على قدم الكلام لكن مدلولها قدم كلام معين بغير قدرته ومشئته؟ أم مدلولها أنه لم يزل متكلماً بمشيئته وقدرته؟

والأول: قول الكلامية.

والثاني: قول السلف والأئمة وأهل الحديث والسنة، فيقال: مدلولها الثاني لا الأول؛ لأن إثبات كلام يقوم بذات المتكلم بدون مشيئته وقدرته غير معقول ولا معلوم والحكم على الشيء فرع عن تصوره.

فيقال للمحتج بها: لا أنت ولا أحد من العقلاء يتصور كلاماً يقوم بذات المتكلم بدون مشيئته وقدرته فكيف ثبت بالدليل المعقول شيئاً لا يعقل وأيضاً فقولك:

"لو لم يتصف بالكلام لا تصف بالخرس والسكوت" إنما يعقل في الكلام بالحروف والأصوات؛ فإن الحي إذا فقد ما لم يكن متكلماً، فإما أن يكون قادراً على الكلام ولم يتكلم وهو الساكت، وإما أن لا يكون قادراً عليه وهو الأخرس، وأما ما يدعونه من الكلام النفساني فذاك لا يعقل أن من خلا عنه كان ساكناً أو أخرس فلا يدل بتقدير ثبوته على أن الخالي عنه يجب أن يكون ساكناً أو أخرس، وأيضاً فالكلام القديم النفساني الذي أثبتوه لم تثبتوا ما هو؟ بل ولا تصورتموه، وإثبات الشيء فرع تصوره، فمن لم يتصور ما يثبت كيف يجوز أن يثبت؟ ولهذا كان أبو سعيد بن كلاب رأس هذه الطائفة (يعني الأشاعرة) وإمامها في هذه المسألة لا يذكر في بيانها شيء يعقل بل يقول هو: معنى يناقض السكوت

والخرس، والسكوت والخرس إنما يتصوران إذا تصور الكلام، فالساكت هو الساكت عن الكلام، والأخرس هو العاجز عنه أو الذي حصلت له آفة في محل النطق تمنعه عن الكلام، وحينئذ فلا يعرف الساكت والأخرس حتى يعرف الكلام ولا يعرف الكلام حتى يعرف الساكت والأخرس.

فتبين أنهم لم يتصوروا ما قالوه، ولم يثبتوه بل هم في الكلام يشبهون النصراني في (الكلمة) وما قالوه في (الأقانيم) و(التثليث) و(الاتحاد) فإنهم يقولون ما لا يتصورونه ولا يبينونه والرسول عليهم السلام إذا أخبروا بشيء ولم تصوره وجب تصديقهم.

وأما ما يثبت بالعقل فلا بد أن يتصوره القائل به، وإلا كان قد تكلم بلا علم، فالنصراني تتكلم بلا علم، فكان كلامهم متناقضاً، ولم يحصل لهم قول معقول، كذلك من تكلم في كلام الله تعالى بلا علم كان كلامه متناقضاً ولم يحصل له قول يعقل، ولهذا كان مما يشنع به على هؤلاء أنهم احتجوا في أصل دينهم ومعرفة حقيقة الكلام كلام الله وكلام جميع الخلق بقول شاعر نصراني يقال له الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

وقد قالت طائفة إن هذا ليس من شعره، وبتقدير أن يكون من شعره فالحقائق العقلية أو مسمّى لفظ الكلام الذي يتكلم به جميع بني آدم لا يرجع فيه إلى قول ألف شاعر فاضل دع أن يكون شاعراً نصرانياً اسمه الأخطل... " انتهى ملخصاً من "مجموعة الفتاوى" (٢٩٤/٦ - ٢٩٧).

## [ ٦ ] باب هل التوراة والإنجيل كلام الله؟

سؤال: فيه أخ قال: إن التوراة والإنجيل لا نعطيها صفة كلام الله كما للقرآن، فهل هو مصيب في هذا؟

الشيخ: والقرآن.

السائل: هو يؤمن بأن القرآن كلام الله مائة بالمائة، لكن يقول: صفة كلام الله، الإنجيل والتوراة ليس بمنزلة القرآن من حيث أنه كلام الله منه بدأ وإليه يعود؟

الشيخ: هذا ما يقصد؟ الإنجيل المحرف والمبدل؟

السائل: الإنجيل غير المحرف.

الشيخ: الذي أنزل على قلب موسى وعيسى؟

السائل: نعم غير المحرف.

الشيخ: هذا كفر.

السائل: كيف نرد عليه؟

الشيخ: عندنا في القرآن: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤).

"الهدى والنور" (١٢/٣٤: ١١: ٠١).

## [٧] باب التوراة محرفة

[قال الإمام]:

مما يدل على تحريف التوراة أنه جاء فيها: أنه بدا لله خلق السماوات والأرض.

"الصحيحة" (١٤٧٨/٣/٧).

## [ ٨ ] باب بيان عقيدة أهل السنة في كلام الله تعالى وضلال من خالفهم

[ذكر الإمام ضمن الأمثلة على ضلال أبي غدة أنه:]

لم يوافق على قول الإمام الطحاوي: القرآن كلام الله تعالى منه بدا، بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية، وأنه تعالى لم يزل متكلماً اذا شاء، وكيف شاء، وأنه يتكلم بصوت، ومن قرأ بحثه في مسألة خلق القرآن التي أطال الكلام عليها في تعليقه على «القواعد» (ص ٣٦١ - ٣٧٩) يتبين له جلياً أنه جهمي جعدي.

"كشف النقاب عما في كلمات أبي غدة من الأباطيل والافتراءات" (ص ٥٦-٥٧)

## [٩] باب شرح قول سفيان :

**"القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود"**

[قال سفيان]: "القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود".

[قال الإمام]:

أي المتكلم به، وهو الذي أنزله من لدنه، ليس هو كما تقوله الجهمية أنه خلق في الهواء أو غيره، وبدأ من عند غيره.

وأما "إليه يعود" فإنه يسرى به في آخر الزمان من المصحف والصدور، فلا يبقى في الصدور منه كلمة ولا في المصاحف منه حرف. كذا في "العقيدة الواسطية" لشيخ الإسلام ابن تيمية.

"مختصر العلو" (ص ١٤٠).

## [١٠] باب الصوت الإلهي والإيمان به

[قال رسول الله ﷺ]:

«يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدَمُ! فيقول: لبيك ربنا! وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار. قال: يا رب! وما بعث النار؟ قال: من كل ألف - أراه قال - تسع مئة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم، فقال النبي ﷺ: من يأجوج تسع مئة وتسعة وتسعين، ومنكم واحد. ثم أنتم في الناس كالشجرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشجرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإنني لأرجو أن تكونوا رُبُع أهل الجنة؛ فكبرنا، ثم قال: ثلث أهل الجنة؛ فكبرنا، ثم قال: شطر أهل الجنة؛ فكبرنا».

[ترجم له الإمام بما ترجمناه به ثم قال]: وفي ذلك... رد على البيهقي في قوله:

"ولم يثبت لفظ الصوت في حديث صحيح عن النبي ﷺ!"

ثم تأول الحديث بأن الصوت راجع إلى ملك أو غيره كما بينه الحافظ عنه، ثم أشار إلى رده بقوله:

"وهذا حاصل كلام من ينفي الصوت من الأئمة، ويلزم منه أن الله لم يُسمع أحداً من ملائكته ورسله كلامه، بل ألهمهم إياه".

قلت: وهذا باطل مخالف لنصوص كثيرة، وحسبك منها قول الله تبارك وتعالى في مكالمته لموسى: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (طه: ١٣). ثم قال: "وحاصل الاحتجاج للنفي الرجوع إلى القياس على أصوات المخلوقين، لأنها التي عُهد أنها ذات مخارج. ولا يخفى ما فيه؛ إذ الصوت قد يكون من غير مخرج كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة كما سبق. سلمنا؛ لكن نمنع القياس المذكور، وصفات الخالق لا تقاس على صفة المخلوق، وإذا ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة، وجب الإيمان به، ثم إما التفويض، وإما التأويل. وبالله التوفيق."

قلت: بل الإيمان كما نؤمن بسائر صفاته، مع تفويض معرفة حقائقها إلى المتصف بها سبحانه وتعالى كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١١).

"الصحيحة" (٧/٢، ٧٥٨، ٧٥٦).

## [ ١١ ] باب الدليل على أن الله تعالى يتكلم بصوت

السؤال: بالنسبة للحديث الذي يدل على أن الله سبحانه وتعالى يتكلم القرآن بصوت، أين هذا الحديث موجود في أي كتاب؟

الجواب: موجود في صحيح البخاري معلقاً.

مداخلة: نعم، هل هناك من وصله؟ أو تابعه..

الشيخ: هناك مذكور طبعاً.

مداخلة: وين؟

الشيخ: مذكور في "فتح الباري" .. أظن في كتاب التوحيد في آخر البخاري.

مداخلة: جزاك الله خيراً.

"الهدى والنور" (١٦٩ / ٣٨ : ٤٩ : ٠٠)

## [١٢] باب هل يوصف كلام الله تعالى بالقدم

[قال الإمام]:

وصف كلام الله تعالى بـ(القديم) فيه نظر على طريقة السلف، لأن ذلك مما لم يرد عنهم .

"تحقيق كتاب: التوحيد أو العقائد الإسلامية" (ص ٤٠).

## [١٣] باب بيان مذهب الأشاعرة في صفة الكلام

[قال الإمام]:

وتأول الأشاعرة فقالوا: "القرآن كلام الله بمعنى أنه خلقه في اللوح المحفوظ"! راجع "حاشية البيجوري" على "الجوهرة" (ص ٤٤-٤٥)

"مختصر العلو" (ص ١٤٣) .

## [١٤] باب منه

سؤال: أليست [صفة الكلام] أحد الصفات السبعة التي يوافق فيها الأشاعرة أهل السنة والجماعة؟

الشيخ: لفظاً لا معنىً.

مداخلة: لفظاً لا معنى؟

الشيخ: نعم؛ لأنهم..

مداخلة: كل الصفات السبع أو الكلام؟

الشيخ: لا، الكلام... أنت تعرف أن أهل السنة يقولون: بأن كلام الله ملفوظ مسموع، أليس كذلك؟ الأشاعرة ما يقولون هذا..

مداخلة: هو ملفوظ لا مسموع.

الشيخ: لا ولا ملفوظ، لا ملفوظ ولا مسموع، إنما هم يقولون: الكلام كلام نفسي، نفسي يعني: في نفس الله، بمعنى: يتأولون الكلام الإلهي بما يساوي العلم الإلهي ولذلك حينما يناقشون المعتزلة ويردون عليهم: لماذا تنكرون الكلام الإلهي؟ أليس الله بقادر على أن يفهم كلامه لموسى؟ ما يقول: أن يسمع مع أن القرآن يقول: ﴿فَاسْمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (طه: ١٣) فهم لا يؤمنون بالكلام المسموع، لأنه شيء علمي، فالله عز وجل كما قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة: ٢٥٥) فإذا

الله قادر على أن يسمع موسى برأينا نحن لكن في رأيهم أن يفهمه،  
ولذلك فهم في هذه الصفة أيضًا معطلة.

"رحلة النور" (٤٠/أ/٣٥:٣٥:٠٠)

[١٥] باب معنى ما ينسب لأبي حنيفة من قوله : "الله يتكلم

بلا آلة ولا حروف، والحروف مخلوقة، وكلام الله تعالى غير

مخلوق"، والكلام على أقسام التوحيد وما يقابله من

### الشرك

الملقي: ما رأيك بقول الإمام أبي حنيفة في متن شرح الفكر الأكبر لعلي القارئ ص (٥١): وأن الله يتكلم بلا آلة ولا حروف، والحروف مخلوقة، وكلام الله تعالى غير مخلوق، نظراً إلى أن هذا القول إن ثبت عن أبي حنيفة يوافق عقيدة الأشاعرة في المسألة، وأن أبا حنيفة من السلف؟

الشيخ: سؤالك هذا يفتح لي باباً جديداً من العلم لا بد أن أذكرك به، وأن ألفت نظرك إليه، الإسلام كما تعلم قال في القرآن الكريم وهذا من مزاياه أنه حذر المسلمين أن يقعوا في مثل ما وقع الأولون من اليهود والنصارى فقال في حق هؤلاء: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ (التوبة: ٣١) هذه الآية حين نزلت كان في المجلس رجل عربي من العرب النواذر الذي كان بالتعبير العصري مثقفاً يومئذٍ غير أمي، العرب أميون إلا النادر منهم، فهذا كان من هؤلاء النادرين كان مثقفاً، كان متعلماً، قرأ الكتاب المعروف بـ «الكتاب المقدس»، الذي يحوي التوراة والإنجيل، فوجد التوراة والإنجيل خير مما وجد عليه قومه

يعبدون التماثيل والأصنام، وجد هناك شيئاً من الأخلاق، شيئاً من التشريعات، حيث لا يجد شيئاً من ذلك إطلاقاً في الوثنية الجاهلية فتنصر، ولما جاء إلى النبي ﷺ وهو على نصرانيته جاء وقد علق الصليب على صدره، فأنكر الرسول - عليه السلام - ذلك عليه، ثم هداه الله - عز وجل - وأسلم وحسن إسلامه، وأخذ يتفقه ويجلس مجالس الرسول - عليه السلام -، ذات يوم لما نزلت هذه الآية: ﴿اتَّخِذُوا أَجْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١)، وهو كان من أولئك النصاري قال: يا رسول الله ما اتخذناهم أرباباً من دون الله! تبادر إلى ذهن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - إلى أن مقصود الآية: يعني اعتقدوا في أجبارهم أنهم يخلقون ويرزقون ويميتون ويحيون وو الخ، قال: «ألستم كنتم إذا حرّموا لكم حلالاً حرّمتموه، وإذا حلّلوا لكم حراماً حللتموه؟» قال: أما هذا فقد كان، قال: «فذاك اتخاذهم إياهم أرباباً من دون الله».

فالمقصود: المسلمون حتى اليوم والحمد لله لا يزالون يوجد فيهم من يحافظ على التوحيد بكامله؛ لأن التوحيد الذي يستنبط من كتاب الله ومن حديث رسول الله ﷺ يختلف تماماً عن التوحيد الموجود عند النصاري وعند اليهود، بل وأرجو أن لا يقع ثقيلًا على مسامعك: وحتى بعض المسلمين، التوحيد الذي جاء في القرآن وفي السنة يجهله كثير من المسلمين، فضلاً عن أهل الأديان الأخرى؛ ذلك لأن التوحيد الذي دعت إليه الرسل كلهم دون استثناء أحد منهم هو يعني توحيد الله - عز وجل - في ذاته، أي: لا ند له لا خالق معه، لا رازق معه، وهذا أمر يشترك فيه حتى المشركون، المشركون الذين بعث إليهم الرسول ﷺ كانوا

يعتقدون أن الخالق هو واحد لا ند له في خالقيته، ولكنهم مع ذلك وصفوا في عديد من الآيات بأنهم مشركون، وأن الله قال لهم: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢) فما هي الأنداد التي جعلوها الله - عز وجل -، وأنكرها الله عليهم؟ مع أنهم كانوا يقولون بصريح القرآن الكريم: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (لقمان: ٢٥)؛ إذاً خلق السموات والأرض، هم يعتقدون أنه واحد لا شريك، فإذا أين شركهم، ما دام أنهم يوحدون الله في ذاته، هنا يكمن جهل كل الأديان التي أشرنا إليها آنفاً، وبعض الجهلة من المسلمين، حيث يفهمون معنى: لا إله إلا الله، حتى رأيت بعض الرسائل لبعض المشايخ فسرّها (لا إله إلا الله) أي: لا رب إلا الله، وهذا تفسير خاطئ جداً، بحيث يترتب منه أن مشركاً يهودياً كان أو نصرانياً قال: لا رب إلا الله، لا يدخل في الإسلام؛ لأنه لا رب إلا الله كان المشركون كما سمعت آنفاً من القرآن يقولون: الخالق هو رب العالمين هو واحد، إذاً لماذا بعث رسول الله ﷺ إلى هؤلاء المشركين أن يدعوهم إلى أن يعتقدوا أن خالق السموات والأرض هو الله وحده لا شريك له، لا، هذا اسمه تحصيل حاصل، تفهم مني تحصيل حاصل؟

...يعني شيء كان موجوداً في قرارة نفوس المشركين هؤلاء، لكن هو دعاهم إلى شيء كانوا أحوج ما يكونون إليه، كالأرض العطشى إلى ماء السماء.

قال الله - عز وجل - في القرآن الكريم، هذه الآية الجواب لتساؤلي السابق: لماذا أرسل الله محمداً ﷺ إلى هؤلاء المشركين ما دام أنهم كانوا يعترفون بأن الخالق هو واحد لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (الزمر: ٣)، هنا في شيء يسمى عند العلماء بـ «طي من الكلام»، وهذا من إعجاز القرآن: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ (الزمر: ٣)، وين الطي وين الاختصار؛ إذا قيل لهم: لماذا اتخذتم هؤلاء أولياء من دون الله؟ قال: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (الزمر: ٣)، فهم اعترفوا بشيئين: الشيء الأول: أنهم يعبدونهم من دون الله. وأنهم إنما يعبدونهم ليوصلوهم إلى الله، فإذا رسول الله ﷺ أرسل إليهم ليخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، لم يدعهم إلى الاعتقاد بأن الخالق واحد؛ لأنه هذا كما قلنا تحصيل حاصل، لكن مع اعترافهم أن الخالق المحيي المميت هو واحد لا ند له ولا شريك له كانوا يعبدون معه غيره كما في هذه الآية وآيات كثيرة وكثيرة جداً.

مثلاً نحن قلنا آنفاً لو أن مشركاً مهما كان دينه قال: لا رب إلا الله، لا يدخل في الإسلام؛ لأنه آمن إيمان المشركين، وهو يجب أن يؤمن إيمان الموحدين، الموحدون حقاً يوحدون الله في ذاته، يوحدون الله في عبادته، لا يعبدون معه غيره، كما يفعل النصارى مثلاً؛ يعبدون عيسى - عليه السلام -، يوحدون في أسمائه وفي صفاته، فإذا مسلم آمن بأن الله واحد في ذاته، كما كان المشركون يقتصرون على هذا التوحيد، ثم أضاف هذا المسلم إلى ذلك أنه يعبد الله وحده لا يعبد معه غيره، مثلاً: لعلك تسمع أن كثيراً من المسلمين الطيبين الصالحين إذا وقعوا في ضيق ينادون من؟

من يسمونه بـ «البدوي»، وبـ «سيدي عبد القادر»، ونحو ذلك من الأولياء والصالحين يدعونهم من دون الله، فهم يفعلون فعل الجاهلية الأولى، فإذا قولهم: لا إله إلا الله، لم يفدهم، لم ينقذهم من الشرك؛ لأن الشرك ثلاثة أنواع كالتوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، من أنكر وجود الله كالدهريين مثلاً، هذا مشرك، أشرك عقله، ونفى وجود ربه، أما لو آمن بوجود الله وأنه خالق، ولكنه يعبد غيره، يعبد هواه، كما في الآية القرآنية؛ كيف الآية؟

مداخلة: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (الحائثية: ٢٣).

الشيخ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (الحائثية: ٢٣) شايف؟ فإذا هذا الذي أسلم وقال: الله في ذاته لا شريك له، هذا لا بد منه، ثم لا يعبد إلا الله - عز وجل -، ولكنه يعطي صفة من صفات الله لعبد من عباد الله ما يكون مؤمناً بـ لا إله إلا الله؛ لأن لا إله إلا الله تشمل هذه الأنواع الثلاثة؛ فمن آمن بالله واحداً في ذاته، واحداً في عبادته، واحداً في صفاته وأسمائه فهذا هو الذي يدخل الجنة، وهو الموعود بقوله: «من قال: لا إله إلا الله؛ دخل الجنة»، أو كما في الحديث الآخر: «نفعته يوماً من دهره»، أما الإخلال بشيء من هذا التوحيد الثالث وهو توحيد الأسماء والصفات أو توحيد العبادة فهذا لا يكون مسلماً؛ لذلك قال تعالى في حق المشركين الذين آمنوا بأن الله هو الخالق: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الصفات: ٣٥)، لماذا يستكبرون، وهم يقولون: الله هو الذي خلق السموات والأرض؟ لماذا يستكبرون أن يقولوا: لا إله إلا الله؟ لأنهم

عرب وأنهم يفهمون أن معنى لا إله إلا الله، ليس معنى لا رب إلا الله، بل المعنى أوسع بكثير من هذا المعنى الضيق، لا رب إلا الله، هذا أساس التوحيد، ثم لا بد أن يضم إلى ذلك عبادته وحده لا شريك له في العبادة، ثم توحيد الأسماء والصفات، وأنا أضرب لك الآن مثلاً فيما يخل بتوحيد الصفات، إذا مسلم اعتقد بأن الشيخ الفلاني يعلم الغيب؛ هل يكون موحدًا؟

الملقي: يفرق بين... بين بعض الناس، وبين كل الناس.

الشيخ: يمكن أن تشرح لي لأفهم عليك؟

الملقي: مثلاً هذا الرجل الذي يجلس هنا يعرف ماذا في [تفسير] آية الكرسي. فهذا غيب بالنسبة إليه،

الشيخ: لا

الملقي: وليس غيباً بالنسبة لما هو...

الشيخ: معلش

الملقي: هاه.

الشيخ: لكن هذا أمر واقع، هذا الغيب النسبي.

الملقي: نعم

الشيخ: وأنا أقول لك ما هو يعني أبعد عن الناس، هؤلاء الفلكيون الذين يخبروننا قبل سنين بخسوف الشمس والقمر، هذا غيب نسبي، ولكن هل يستطيع أحد أن يقول: أنا أعلم ما في اللوح المحفوظ؟

الملقي: كيف؟!

الشيخ: هاه.

الملقي: كيف يعلم؟! ....

الشيخ: هاه، فإذا قال فلان يغيب، ويقرأ ما في اللوح المحفوظ؛ هل يكون شهد ب: لا إله إلا الله، هل يكون آمن بكتاب الله: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (النمل: ٦٥)، نحن نعلم مع الأسف الشديد، لذلك قلت لك، وأنا لك ناصح أمين: أخشى على إسلامك أن يداخله شيء مما يفسد عليك إسلامك، مما قد تسمعه من بعض من يظن أنه مسلم وصالح وعالم، فنحن نعلم من الكتب ومن مشاركتنا ومخالطتنا بالناس أن كثيراً من هؤلاء المسلمين مع الأسف الشديد يعتقدون بأن بعض الأولياء والصالحين يعلمون الغيب، يعلمون الغيب، بالرغم من النصوص القاطعة في القرآن وفي السنة، وأنا تلوت على مسامعك الآن الآية الصريحة ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (النمل: ٦٥)، وهناك حديث في صحيح البخاري أن النبي ﷺ مر بجوار من الأنصار وهن يغنين، ويقلن فيما يقلن: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال: «لا يعلم الغيب إلا الله، دعي هذا وقولي ما كنت تقولين»، هي قال: يعلم ما في غد، لعلك سمعت من بعض المشايخ أو الصوفيين أو الطريقين أنهم يتناشدون في مجالسهم التي يسمونها بمجالس الذكر، يخاطبون النبي ﷺ بقول البوصيري:

فإن من جودك الدنيا وضررتها ومن علومك علم اللوح والقلم

ألم تسمع هذا؟

الملقي: لا لا ما سمعت.

الشيخ: احمد الله - عز وجل - .

الملقي: الحمد لله .

الشيخ: احمد الله - عز وجل - ، ولكن أنا أذكرك الآن لا بد أنك ستسمع إن لم تكن سمعت كما قلت، هذا يتقربون به إلى الله، وينشدون هذا النشيد يخاطبون النبي ﷺ بكلمة الكفر، وأنا أعرف في سوريا كانوا إذا جلسوا مجلس ذكر جاؤوا بوعاء فيه ماء، ييسموها (شربة) شو بتسموها انتوا؟

مداخلة: شربة شيخنا.

الشيخ: شربة، عرفت هذه؟

الملقي: نعم

الشيخ: وعاء من الفخار.

الملقي: وعاء من الفخار

الشيخ: كهذه الشربة، شايف هذه؟ من فخار ممتلئة ماءً فيضعونه في وسط الحلق، وهم ينشدون ويطربون ويميلون، ويخاطبون الرسول - عليه السلام - بقولهم:

فإن من جودك الدنيا وضررتها ومن علومك علم اللوح والقلم

الملقي: ضررتها، شو معنى ضررتها؟

الشيخ: كيف؟

الملقي: ضررتها ما معناها؟

الشيخ: آه، الضررة الآخرة. فإن من جودك الدنيا وضررتها، يعني الآخرة.

مداخلة: الدنيا والآخرة.

الملقي: آه.

الشيخ: وهذا هو عين الكفر.

مداخلة: الله أكبر.

الشيخ: لأنه كيف يتصور المسلم أن المسلم يجود في الدنيا معلش، لكن في الآخرة هاللي وصفها الرسول - عليه السلام - بقوله: «يها ما لا عين رأت، و...».

مداخلة: ولا أذن سمعت.

مداخلة: «ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»<sup>(١)</sup>، وفيها أكبر نعمة هي: رؤية الله - عز وجل - في الآخرة، كما قال رب العالمين: ﴿وَجُودُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢، ٢٣)، وقال في القرآن الكريم... الآية: للذين أحسنوا، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: ٢٦) للذين أحسنوا في الدنيا: آمنوا بالله ورسوله، لهم الحسنَى؛ أي: الجنة، وزيادة؛

(١) "البخاري" (رقم ٣٠٧٢).

أي: رؤية الله - عز وجل - في الآخرة، وجاء في بعض الأحاديث أن أهل الجنة حينما يرون ربهم ينسون نعيم الجنة ولا شك، وهذا أمر طبيعي جداً، حينما يرى إنسان حبيباً له من البشر من طين، ينسى كل شيء، فما بال هذا الإنسان يرى رب العالمين؛ كيف يقال أن مسلماً عادياً يطلق الدنيا ويجود بالدنيا وبضرتها الآخرة، لو نسب هذا القول المسلم أقل مسلم علماً وعملاً صالحاً لكان خطأ كبيراً، فكيف ينسب هذا القول إلى النبي ﷺ، ثم: ومن علومك علم اللوح والقلم؛ وأنت تعلم كما أظن (من) للتبعض، تعرف هذا؟

الملقي: نعم.

الشيخ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ (التوبة: ١٠٣) مش خذ أموالهم كلها.

الملقي: نعم.

الشيخ: خذ بعض أموالهم، من بعض أموالهم إلى آخره، فهون يخاطب الرسول - عليه السلام - الذي قال للجارية: ﴿لَا يَعْلَمُ الْغَيْبُ إِلَّا اللَّهُ﴾، هو يقول:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

علم اللوح والقلم أحاط بكل شيء كان وما سيكون، إذاً الرسول - عليه السلام - أحاط بهذا علماً، وهذا بعض علمه، فهذا كله مما يوجد في عقائد كثير من المسلمين اليوم.

الملقي: توحيد الأسماء والصفات، شو موضع الشاهد بالنسبة لنفي الحروف المنسوب إلى أبي حنيفة؟

الشيخ: أحسنت، لا، هذا لسه ما وصلنا إليه، هذا ما وصلنا إليه، أنا أريد أن يعني أن أذكرك بأشياء قد تسمعها فتكون على بصيرة منها أنها لا صلة لها بالإسلام، فيجب على كل مسلم أن يعرف أن التوحيد له ثلاث أقسام؛ يقابله الشرك له ثلاثة أقسام، توحيد الربوبية، توحيد العبادة، توحيد الأسماء والصفات، فتوحيد الأسماء والصفات كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، فيجب على المسلم أن يصف ربه بما وصف به نفسه، ولكن وصف نفسه بالتنزيه أو بالإثبات ثانياً، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، ثم أثبت فقال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، فلا يجوز نحن أن نشبهه بالخلق؛ لأنه منزّه عن مشابهة للحوادث، ولا يجوز أن ننفي صفة من صفاته بزعم أن هذه الصفة فيها تشبيه لله - عز وجل - بالحوادث، وإنما نحن مع الكتاب تنزيهاً وإثباتاً.

فإذا عرفت هذه الحقيقة، الآن أعود إلى ما سألته في الأول: الحروف تستطيع أن تقول: الله ينزه عن الحرف المعهود عندك وعندي، هذا الذي يحتاج إلى جوف، ويحتاج إلى لسان، ولهأة وو الخ، طبعاً رب العالمين منزّه عن هذه الأشياء كلها، فحينما ينقل عن أبي حنيفة مثل تلك الرواية، أنا بدأت بآية: اتخذوا أحبارهم؛ لماذا؟ لنقول: إذا جاءنا قول عن إمام من

أئمة المسلمين، نحن هذا الإمام لا نتخذة إلهاً كما فعلت النصارى  
بعيسى، نحن نؤمن بإمامته، ولا نؤمن بعصمته، واضح؟

الملقي: نعم.

الشيخ: حينئذٍ أي قول جاءنا عن إمام قبل كل شيء نريد أن نتثبت من  
نسبته إليه، بعد ذلك إن صح هذا القول عرضناه على الكتاب والسنة، مثل  
هذا القول نحن لا نؤمن به.

الملقي: نسبة الكتاب له هو صحيح؟

الشيخ: لا مو صحيح، يعني أبو حنيفة لم يؤلف كتاباً في حياته، هذا  
الذي ألفه بعض أتباعه من بعده، ففي هذا الكتاب ما يوافق الكتاب  
والسنة، وما يخالف ذلك.

الملقي: ممكن مدلس عليه.

الشيخ: كيف؟

الملقي: مدلس على أبي حنيفة الكتاب؟

الشيخ: منسوب منسوب إليه، لا يقال مدلس، منسوب إليه، هناك كتب  
كثيرة منسوبة لغير مؤلفيها

الملقي: نعم.

الشيخ: لكن أنت ما يهملك هذه الناحية مع أنني أجبتك، هذا الكتاب  
منسوب إلى أبي حنيفة، أبو حنيفة ليس له كتاب، كل الأئمة الأربعة كلهم  
لهم كتب بنسب متفاوتة كثرة وقلة، إلا الإمام الأول بالنسبة للطبقة وهو

أبو حنيفة، فليس له كتاب، وإنما هناك له تلامذة وله روايات تروى عنه، ولذلك فما ينبغي أن نهتم نحن به هل هذا الكتاب صحيح النسبة لأبي حنيفة أو لا؟ فيما يتعلق بموضوعنا.

الملقي: نعم.

الشيخ: مع أنني قلت لك: الذي نعرفه أن هذا الكتاب لا تثبت نسبته إلى أبي حنيفة، لكن افترض، نحن نبتلى بكثير من الناس المتعصبين المذهبيين نبتلى بكثير من هؤلاء المتعصبة، من يتعصبون لقول الإمام، قد يكون هذا القول صحيح النسبة إليه، وقد لا يكون صحيح النسبة إليه، نحن الآن نفترض أن هذا القول أو هذا الكتاب كله صحيح النسبة لأبي حنيفة، وقال هذا الكلام، نحن لا نقبله؛ لماذا؟ لأننا نعلم أن المبتدعة الذين خالفوا عقيدة السنة وأهل السنة وأهل الحديث هم الذين يقولون بنفي هذه الأشياء أي الحروف واللفظ ونحو ذلك، يتوصلون منها لنفي ما صرح القرآن الكريم والسنة الصحيحة. مثلاً أنا أربطك الآن بالمشكلة الأساسية، لا شك أن الله - عز وجل - من صفته الكلام، حيث رب الأنام: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤)، والقرآن باتفاق المسلمين هو كلام الله - عز وجل -، والرسول ﷺ يقول: «من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات، لا أقول: الم، حرف؛ بل ألف حرف، لام حرف، ميم حرف»<sup>(١)</sup> إذاً قد قال الله: ﴿كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤)، إذا ثبت كلام الله - عز وجل -، ولا ننفيه بشيء من التأويل، ونثبت أن كلام الله حروف،

(١) "صحيح الجامع" (رقم ٦٤٦٩).

كما سمعت من قوله - عليه السلام - : «من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات»، لكننا حينما ثبت هذا وذاك لا نقول: كلام الله ككلامنا، ولا نقول: الحرف الذي يخرج من كلام الله - عز وجل - هو ككلامنا، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، فنثبت ما أثبت وننفي ما نفى، ما الذي نفى؟ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ما الذي أثبت، أثبت السمع والبصر، هذا هو السمع هو هذا؟! الذي أثبته لنفسه هو هذا؟

الملقي: لا .

الشيخ: حاشا، أثبت لنفسه السمع؛ هو هذا؟ حاشا، إنما هنا كلمة لبعض المحدثين، وهو بالضبط أبو بكر الخطيب صاحب تاريخ بغداد، تسمع به ولا بد، يقول كلمة حق لو وقف عندها الفرق التي اختلفت في الكلام الإلهي اختلافاً كثيراً لا تفقوا جميعاً على كلمة سواء، كما قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٦٤)، كذلك لو اتفقوا على هذه الكلمة التي ذكرنا بها الخطيب - رحمه الله - لزال الخلاف وهو: يقال في الصفات ما يقال في الذات، هل نحن نعلم كيفية الذات؟

الملقي: لا .

الشيخ: لا لا نعلم كيفية الذات أليس كذلك؟ لكننا نؤمن بأن الله ذات مش معنى ذهني قائم فقط ليس له وجود خارج، فمالذي نقوله في الذات نقوله في الصفات؛ لأنه الصفات متعلقة بالذات، فكما نؤمن بوجود الذات الإلهية نؤمن تماماً بوجود الصفات الإلهية، كما نؤمن بأن ذاته

ليست كالذوات كذلك نقول: صفاته ليست كالصفات، الآن الكلام ما موقف المسلمين إلى اليوم: ثلاثة مذاهب، تعرف هذا أنت ولا بد؟  
الملقي: سمعت.

الشيخ: ثلاث مذاهب: مذهب المعتزلة؛ يقولون: الله لا يتكلم. آه،  
وحينما يأتون إلى قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤)  
يقولون الله ما تكلم، إنما التي تكلمت هي الشجرة، فنفوا الكلام صراحة؛  
لماذا؟ قالوا: لأنه الكلام صفة الإنسان.

الملقي: نعم

الشيخ: فإذا قلنا الله يتكلم معناه شبهناه بالمخلوق، فهذا منتهى الجهل  
والضلال.

الملقي: نعم، قتل الجهم في نفس هذه المسألة.

الشيخ: فأقول: هذا منتهى الجهل والضلال، لم؟ أنت وأنا وكل هذه  
المخلوقات من إنس وجن وملائكة وجماد وو الخ، كمان موجودات،  
فنحن بين أحد شيئين، إما أن نقول: الله غير موجود؛ لأننا إذا قلنا موجود  
صار فيه اشتراك بيننا وبينه، وهذا هو التشبيه، فإذا ماذا نقول؟ نقول كما  
قالت المعتزلة: نفى، نقول الله غير موجود؛ لأنه هذا فيه تشبيه للرب  
الموجود بالمخلوقات إذاً هو غير موجود، وهذا ضلال بين، إذا ماذا  
نفعل؟ نقول كما قال أهل وحدة الوجود، أظن تعرف شيئاً عنهم؟

الملقي: نعم سمعت...

الشيخ: آه، هؤلاء الذين يقولون:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنيسة

وكل ما تراه بعينك فهو الله، ولما عبد المجوس النار ما عبدوا إلا الواحد القهار، أي: هو هو، لا شيء إلا هو، حينئذ فكل ما تراه بعينك فهو الله، هذا هو الوجود؛ لذلك هم يسمون أنفسهم بأهل التوحيد، نحن الذين نقول: لا إله إلا الله، نحن مشركون؛ لأننا أوجدنا شيئاً مع الله، هذا هو الضلال المبين بسبب أيش؟ عدم التمسك بالآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، ثبت ما أثبت مع التنزيه، وننزه كما ننزه، الشاهد المعتزلة قالوا: الله لا يتكلم، الأشاعرة قالوا: كيف؟! الله يتكلم، لكن داروا، ولفوا، ووصلوا عند المعتزلة بالتأويل، فقالوا بالكلام النفسي، سمعت بهذا؟

الملقي: نعم، نعم.

الشيخ: الكلام النفسي.

الملقي: نعم كلام النفس...

الشيخ: آه الكلام النفسي، معناها أنهم التقوا مع المعتزلة بأن الله لا يتكلم كلاماً مسموعاً، وأنت ذاكر معي قول الله - عز وجل -: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى، وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (طه: ١٢، ١٣)، هنا الشاهد، فاستمع لما يوحى، فالكلام النفسي لا يسمع، الآن أنا في صدري كلام أنت ما تسمعه.

الملقي: نعم

الشيخ: وأنت في صدرك كلام أنا لا أسمعه، لا يحسن لي أن أخاطبك أنت: اسمع لكلامي الذي في نفسي، وإنما قد أقول لك: افهم ما في نفسي. أما اسمع، هذا لا يقال، فكيف يؤول الكلام الإلهي المصرح في الآية عند الأشاعرة بأنه كلام نفسي، الله يقول: ﴿فاسمع لما يوحى﴾ إذاً هو كلام، أي كلام مسموع، لكن نحن كيف، لهأة وفم وأضراس وأسنان والخ، هذه أشياء نبرأ إلى الله من أن نخوض فيها، فإذا الأشاعرة لما أولوا الكلام أثبتوا شيئاً لم يتعرض له القرآن، القرآن تعرض لإثبات العلم الإلهي، فإذا قلنا بالكلام النفسي وفسرناه بالعلم الإلهي فممكّن أن يكون هذا كلام معقول، لكن هو العلم، ولماذا نسميه بالكلام النفسي تضليلاً.

في النهاية هم يقولون بأن القرآن هذا لم يصدر من الله - عز وجل -، وهذا خلاف عقيدة المسلمين جميعاً، والسبب أنهم وقفوا عند صفة الكلام فاختلّفوا ثلاث مذاهب: المعتزلة صرحوا بأن الله لا يتكلم، أي: إنه وقعوا في شر ما منه فروا، الذي لا يتكلم هو الجماد، صح؟ فإذا وصفوا الله - عز وجل - بالجماد؛ إذاً ما الحل؟ الحل إنكار وجوده وانتهت المشكلة كلها، فالمهم فالأشاعرة التقوا مع المعتزلة في إنكار الكلام الإلهي، وهذا يلزم منه يا أخا الإسلام إنكار عشرات الآيات، ربنا - عز وجل - حينما خاطب الملائكة وقال لهم: ﴿اسْجُدُوا لِلْآدَمِ فَسَجَدُوا﴾ (البقرة: ٢٤) أليس هناك كلام تسمعه الملائكة ويأمرهم وأيضاً كان إبليس يعبد الله معهم، ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ (الحجر: ٣٠)،

(٣١)، ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (المائدة: ١١٦)، ما يسمع عيسى - عليه السلام - حينما يخاطبه رب الأنعام بهذا...، هذا كله تعطيل لعشرات إن لم نقل مئات النصوص للكتاب والسنة، بسبب أيش: التأويل، وتحكيم العقل، وقياس الغائب، غيب الغيوب هو الله - تبارك وتعالى - على الشاهد وهو البشر، يبقى المذهب الثالث يقول: نحن نثبت لله ما أثبت لنفسه، أثبت لنفسه الكلام، وأن هذا القرآن هو كلام الله وليس كلام مخلوق من خلق الله - عز وجل - أبداً، ولكن كيف؟ لا ندري، لعلك سمعت قول الإمام مالك - رحمه الله - حينما جاءه سائل قال له: يا مالك .. ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: ٥) كيف استوى؟ قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، أخرجوا هذا الرجل.

مداخلة: والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

الشيخ: بدعة أخرجوا هذا الرجل فإنه مبتدع، فقال له: الاستواء معلوم لغة، وهو العلو، فالله - عز وجل - فوق المخلوقات كلها، كما نقرأ في القرآن: سبحان ربي الأعلى<sup>(١)</sup> ونقوله في السجود والخ، لكن استواؤه ليس كاستوائي أنا على الكرسي وأنت وغيرك من البشر، هو استواء يليق بعظمته وجلاله، لا نقول كما يقول - أيضاً - المعتزلة والأشاعرة وغيرهم اليوم، يكون هنا مجلس كهذا المجلس يقول أحدهم في ظنه أنه يذكر الله: الله الله موجود في كل وجود، الله الله موجود في كل وجود، لا بد سمعت هذا التوحيد؟

(١) في القرآن: (سبح اسم ربك الأعلى).

الملقي: لا.

الشيخ: ما سمعته؟

مداخلة: الحمد لله.

الشيخ: هنيئاً لك، هههه.

مداخلة: ههه.

الشيخ: نحن نسمعه كثيراً، لو سألت الآن سائلاً أي إنسان ممن تعرفه أو لا تعرفه: أين الله؟ سيقول لك: الله في كل مكان، فهذا سؤال يعني جوابه معروف عند الناس اليوم مشايخ ووعاظ ومرشدين ودكاترة والخ، الله موجود في كل مكان.

مداخلة: هذا الحلول.

الشيخ: هذا حلول -بارك الله فيك-، هذا حلول، والعقيدة الصحيحة ما قال مالك، ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، أما أن نقول: الله موجود في كل مكان! ما بتعرفوا أنه من الأماكن الدهاليز والمجاري والبارات والسينمايات وو ما لا يدخله الإنسان حتى الكافر حتى الفاسق إلا مضطراً، فيجعلون ربهم في أماكن ما يدخلونه هم إلا مضطرين، هذا توحيد؟ هذا اسمه توحيل؟

مداخلة: هههه.

الشيخ: باللام، هاه، هذا اسمه توحيل، ولذلك قال أحد فقهاء الحنفية الماتريديّة، الماتريديّة هنا طائفتان: طائفة تلتقي مع الأشاعرة في نفي

العلو لله - عز وجل -، ويلتقون مع المعتزلة: الله موجود في كل مكان، وطائفة منهم يلتقون مع أهل السنة. فقال قائلهم:

ورب العرش فوق العرش لكن بلا وصف التمكن واتصال

مفهوم هذا الكلام، وهذا تفسير لقوله - عز وجل -: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٧)، إن الله غني عن العالمين، كل العالمين المخلوقين فضلاً عن كرسي أو عن عرش يحمله، فهذه العقائد أخي يجب أن تؤخذ من الكتاب والسنة وليس من الفقه المسمى بـ «الفقه الأكبر»، حتى لو صحت النسبة إلى الإمام أبي حنيفة - رحمه الله -، وهي غير صحيحة النسبة.

الملقي: هي غير صحيحة.

الشيخ: أي نعم

مداخلة: المتهم به أظن أبو مطيع البلخي.

الشيخ: أي نعم، لا بأس ولو أطلنا على المشايخ نروي له هالنكتة هاده، هاللي إلها علاقة بالعقيدة.

مداخلة: تفضل يا شيخي.

الشيخ: كنا في بعض سنين الحج في منى، وأنا جالس في ليلة صافية جداً، واجتمعنا اجتمعنا مع بعض الشباب منهم أنصار السنة في مصر؛ لما دخل علينا أحد المشايخ الأزهريين، سمع شعراً أنه في مجلس علم فجلس، وانتبه أنه الأرض مسكونة بمن يسمونهم بالوهابية يعني.

الملقي: آه.

الشيخ: الجو علمي وهابي، قال: بس أنتم معشر الوهابية تجسمون، قلت: كيف؟ قال: أنتم بتقولوا إنه الله على العرش، قلت له: سبحان الله، نحن نقول، ولَا رَبَّ الْعَالَمِينَ قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: ٥)، قال: لكن أنتو بتقولوا إنه الله له مكان، الشاهد الآن جرى النقاش هذا النقاش الحقيقة يشبه الفلسفة؛ لأنه نقاش عقلي منطقي، ولكن المسلم ليس بحاجة أن يناقش المسائل الاعتقادية مناقشة عقلية، لكن يضطر أحياناً لمناقشة هؤلاء الذين يحكمون العقل على النقل فيضلون ضللاً بعيداً، لما قال: لكن أنتم تجعلون لله مكاناً، قلت: أسألك وأرجو أن تجيبني، قال: تفضل، قلت له: المكان شيء عديم أم وجودي؟ مفهوم السؤال؟

الملقي: نعم.

الشيخ: قال: وجودي، قلت: كان منذ الأزل أم وجد بعد أن لم يكن؟ قال: وجد بعد أن لم يكن، قلنا: إذاً نحن الآن في مكان؟ قال: نعم، قلنا: فوقنا السماء الأولى؟ قال: نعم. مكان؟ قال: نعم. السماء الثانية ووو السماء السابعة مكان أمكنة كلها؟ قال: نعم، قلت له: وفوق السماء السابعة أيش في؟ قال: العرش، قلت: مكان؟ لأنه مخلوق طبعاً، قال: نعم مكان، قلت: وفوق العرش أيش في؟ ففاجأني بشيء لم يكن في الحساب، قال: الملائكة الكروبيون، قلت: ما هم هذول كروبيون؟ أيه، قلت: أيش هذون ملائكة كروبيون؟

مداخلة: كروبيون بيكربوا.

الشيخ: ههه ههه قال: هؤلاء ملائكة، قلت: في عندك آية تثبت إنه على العرش ملائكة ولهم اسم كروبيون؟ قال: لا، قلت: حديث نبوي عن الرسول - عليه السلام -؟ قال: لا، قلت: عجباً، أنت رجل أزهرى، ونحن نعلم أن مشايخ الأزهر يلقنونكم أنه لا يجوز إثبات عقيدة بحديث صحيح آحاد إلا إذا كان متواتراً، أنت كيف تثبت عقيدة أمر غيبي أنه هناك فوق العرش ملائكة كروبيون بلا حديث؟ قال: هيك لقنونا.

مداخلة: الله أكبر.

الشيخ: هيك لقنونا أنه هناك ملائكة فوق أيش العرش، قلنا له: لا حول ولا قوة إلا بالله، نمشي معك الآن، بزعمك فوق العرش الملائكة كروبيون، فوق الملائكة الكروبيون أيش في؟ سكت، قلت: الكون محدود، أم لا محدود؟ قال: محدود، قلنا له: المحدود إذاً نهايته العرش، وبزعمك أنه فوق العرش ملائكة كروبيون، فوق الملائكة الكروبيون ما في إلا العدم أليس كذلك ما دام الكون محدوداً؟ قال: نعم، إذاً إذا قال السلفيون إن الله - عز وجل - على العرش فليش أنت تنسبهم إلى أنهم جعلوه في مكان، وليس هناك مكان؛ لأن الخلق انتهى،... ماذا يجيب المفحم بالحجة! حسبه أن يبلع ريقه. فهذا منطق يتماشى مع نصوص الشريعة، الله قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: ٥) كيف استوى؟ لا ندري، هل ندري صفة من صفاته تعالى بما سبق الكلام عليها، السمع والبصر والكلام؟ لا، إن كنا ندري شيئاً عن ذاته، فندري شيئاً عن صفاته،

وإن كنا لا ندري فلا ندري، نحن بس مؤمنون بكل ما جاء عن الله ورسوله، نثبت ما أثبت و ننفي ما نفى، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، هذا منتهى علوم البشر كلهم إذا وقفوا مع قول الله - عز وجل - .

"الهدى والنور" (٤٣/٥١٥ : ٥٠ : ٠٠) (٤٠/٥١٦ : ٠٠ : ٠٠)

## [١٦] باب هل يُقال: القرآن غير مخلوق؟

[قال الشيخ رحمه الله - بعد أن تكلم على جواز وصف الله تعالى بلفظتي "بذاته" و"بائن" في قولهم "الله فوق العرش بذاته" "بائن من خلقه" مع أن هذا لم يرد عن الصحابة لكن لما ظهر قول الجهمية بأن الله في كل مكان اضطر أئمة السلف أن يتلفظوا بذلك، قال:]

ومثل هذا تماماً قولهم في القرآن الكريم أنه غير مخلوق؛ فإن هذه لا تعرفها الصحابة أيضاً وإنما كانوا يقولون فيه: كلام الله تبارك وتعالى لا يزيدون على ذلك وكان ينبغي الوقوف فيه عند هذا الحد لولا قول جهم وأشياعه من المعتزلة: إنه مخلوق ولكن إذا نطق هؤلاء بالباطل وجب على أهل الحق أن ينطقوا بالحق ولو بتعابير وألفاظ لم تكن معروفة من قبل، وإلى هذه الحقيقة أشار الإمام أحمد رحمه الله تعالى حين سئل عن الواقفة الذين لا يقولون في القرآن إنه مخلوق أو غير مخلوق هل لهم رخصة أن يقول الرجل: "كلام الله" ثم يسكت؟ قال: ولم يسكت؟ لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا لأي شيء لا يتكلمون؟ "سمعه أبو داود منه كما في "مسائله" (ص ٢٦٣ - ٢٦٤).

## [١٧] باب ذكر أقدم من صرح بأن القرآن غير مخلوق

[قال الإمام في "مختصر العلو"]:

وأقدم من صرح بذلك [أي بأن القرآن غير مخلوق] ممن صرحوا باسمه من السلف: عمرو بن دينار كما تقدم في ترجمة (١٤٩) [من مختصر العلو] وقد توفي سنة (١٢٦)، وأما الصحابة فلم أرَ نصاً صريحاً صحيحاً عن أحد منهم، اللهم إلا عموم قول عمرو بن دينار المتقدم في الكتاب هناك<sup>(١)</sup>، وظني أن فيه تغليفاً فقد صح عنهم القول بأن القرآن كلام الله، ولكن لم يقولوا: "غير مخلوق" لعدم الحاجة إليه يومئذ. وإلى هذا أشار الإمام أحمد رحمه الله تعالى حين سئل: هل لهم رخصة أن يقول الرجل: "كلام الله" ثم يسكت؟ قال: ولم يسكت؟ لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا لأي شيء لا يتكلمون؟!

رواه عنه أبو داود (ص ٢٦٣ - ٢٦٤).

ولذلك قال الحافظ ابن عدي:

"لا يعرف للصحابة رضي الله عنهم الخوض في القرآن".

(١) قول عمرو بن دينار المتقدم هو: أدركت الناس منذ سبعين سنة أصحاب رسول الله ص فمن دونهم يقولون: الله خالق، وما سواه مخلوق إلا القرآن، فإنه كلام الله منه خرج وإليه يعود. قال الألباني: إسناده صحيح مسلسل بالثقات الحفاظ.

وعلق عليه البيهقي في "الأسماء" فقال (ص ٢٤٤):

"قلت: إنما أراد به أنه لم يقع في الصدر الأول ولا الثاني من يزعم أن القرآن مخلوق، حتى يحتاج إلى إنكاره، فلا يثبت عنهم شيء بهذا اللفظ "غير مخلوق"، لكن قد ثبت عنهم إضافة القرآن إلى الله تعالى وتمجيده بأنه كلام الله تعالى".

وأما ما رواه البيهقي (ص ٢٤٧) عن ابن المديني أنه قال في أثر جعفر الصادق المتقدم برقم (١٤٤): "ليس بخالق ولا مخلوق".

"لا أعلم أنه تكلم بهذا الكلام في زمان أقدم من هذا".

قلت فهو على ما أحاط به علمه، فإن عمرو بن دينار أقدم من جعفر كما تعرف مما سبق من ترجمتهما. على أنه قد روى مثله عن علي بن الحسين زين العابدين كما تقدم في الترجمة (١٣) وكانت وفاته سنة (٩٣) فهذا أقدم وفاة منهما، لكن في السند إليه ضعف كما سبق.

"مختصر العلو" ص ١٧٤-١٧٥).

## [ ١٧ ] باب هل القول بخلق القرآن من الكفر البواح

السائل: جاء في حديث عبادة بن الصامت دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعناه على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله قال: «إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان» فالسؤال المطروح هو توضيح معنى الكفر البواح؟

الشيخ: يعني الكفر الصريح الذي ليس عند صاحبه حجة يقتنع بها في نفسه فضلاً عن أن يستطيع أن يُقنعَ بها غيره، فالحجة هنا هي الحجة القاطعة البيّنة؛ أن يأتي بحجة على الكفر الذي نسميه نحن، أما إذا كان جاء بحجة هو مقتنع بها فلا يجوز الخروج عليه؛ لأنه خالف معهودنا وخالف معلوماتنا، وبهذا نعلل فتنة المأمون العباسي حيث خرج على العالم الإسلامي في خلافته بقوله بأن القرآن مخلوق، فهم ما خرجوا عليه.. فنجد العالم الإسلامي يومئذ وفيه العلماء الفطاحل من المحدثين والفقهاء والأئمة ما خرجوا عليهم وهم كانوا بلا شك يعني أقوى منا اليوم في الخروج عليهم؛ لكنهم لما كانوا يتبنون هذا الحكم وهو أنه لا يجوز للمسلمين أن يخرجوا على حكاهم وأمرائهم إلا إذا رأوا منهم كفراً بواحاً، مارأوا منه الكفر البواح؛ لأن الكفر البواح يمكن أن نفهمه بما يُعبر عنه بعض العلماء في بعض المناسبات بما كان معلوماً من الدين بالضرورة، يعني حكم يشترك في معرفته الخاصة والعامة، العالم والجاهل فإذا أعلن الحاكم يوماً ما استباحة أمر مقطوع تحريمه مثلاً من

الدين بالضرورة حينئذ تسقط البيعة التي بويع بها؛ لأنه ارتكب كفراً بواحاً صريحاً، أما مسألة خلق القرآن صحيح أنها خطأ بلا شك لكن أين الدليل، علماء السلف الصحابة الأولون ما تكلموا في هذه القضية لكن لما خرجت المعتزلة بهذه العقيدة الباطلة المنحرفة طبعاً عن الأدلة الشرعية فقالوا: إن كلام الله مخلوق؛ اضطر علماء السنة وبخاصة منهم علماء الحديث أن يقابلوا هذا القول بنقيضه وهو الصفة، وأن يقولوا كلام الله صفة من صفاته ولا يُعقل أن يكون مخلوقاً لكن هذا أشبه شيء بما يسمى بعلم الكلام، ولنقل عبارة أخرى أشبه شيء بالفلسفة من يفهم أن هذه صفة والصفة تبع للذات، والذات قديمة والصفات قديمة فيلزم منه أن الكلام ليس مخلوقاً؛ لأن هذا صفة للخالق..، هذه أمور اجتهدانية استنباطية وليست كل أمور اجتهدانية استنباطية باطلة ولا هي كلها صواب لكن يختلف الأمر بين ما هو منصوص عليه وبين ما هو بطريق الاجتهاد والاستنباط لذلك نجد العلماء يومئذ ما قابلوا ضلالة المهدي بالخروج عليه؛ لأنه صحيح جاء بأمر منكر لكن ما جاء كفراً بواحاً، ولذلك لقوا ما لقوا من التعذيب والسجن وربما الموت والقتل وما خرجوا عليه، وهنا الآن نحن بعد أن تبين لنا ما هو الكفر البواح وضربنا بعض الأمثلة ما فائدة فهم هذا الحديث في هذا العصر حيث لا بيعة، أنا أعتقد أن الذين يثيرون هذا السؤال وأمثاله هم من جماعة الخوارج المُحدّثين، هم يحملون الفكر الجديد الذي تبنته جماعة سموا بحق أو بباطل بجماعة الكفر والهجرة...

## [١٨] باب منه

[قال الإمام:]

لا شك أن الإباضية وكل من دان برأيهم وبعقيدتهم في أن كلام الله عز وجل مخلوق، ومن ذلك هذا القرآن المعجز مخلوق، وكذلك من نفى إنكار رؤية المؤمنين لرب العالمين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، لا شك أن هؤلاء المنكرين لكون القرآن كلام الله حقيقة وليس مخلوقاً، وأن الله عز وجل يمتن على عباده المؤمنين فيتجلى لهم يوم القيامة، ويوم يدخل المسلمون الجنة، هذا الإنكار فيه ضلال واضح جداً، وأما أن هذا الضلال كفر ردة عن الدين أو لا، نقول: من تبينت له الحجة ثم أنكرها فهو كافر مرتد عن دينه، لكن من أنكر ذلك فهو في ضلال، ونحن لا يهمنا أن نقول فلان من الناس أو الطائفة الفلانية من الناس هم كفار، حسبنا أن نقول هم ضالّون؛ لأن المقصود هدايتهم وأن يعرفوا أنهم على خطأ وعلى ضلال حتى يعودوا إلى الصواب..

"الهدى والنور" (٣١٠ / ٤٩: ٣٣: ٠٠)

## [١٩] باب ذكر دور ابن أبي دؤاد في فتنه خلق القرآن

[قال الإمام:]

أحمد بن أبي دؤاد - على وزن فؤاد - القاضي الجهمي المشهور وهو الذي بسببه امتحن الإمام أحمد وأهل السنة بالضرب والهوان على القول بخلق القرآن، ثم ابتلي ابن أبي دؤاد في نفسه وماله بما هو مذكور في ترجمته من "الشذرات" (٩٣/٢) وغيره عامله الله بما يستحق مات سنة (٢٤٠).

"مختصر العلو" (ص ١٩٥).

## [٢٠] باب الرد على من استدل على خلق القرآن بقوله تعالى: (إنا جعلناه قرآنا عربيا) فقال: المجمعول لا يكون إلا مخلوقاً

[ذكر الذهبي في "العلو" أن أهل الضلال قالوا أن القرآن كلام الله وتزيله وأنه مخلوق"، وذكروا في دليلهم [إنا جعلناه قرآنا عربيا] وقالوا: والمجمعول لا يكون إلا مخلوقاً].

[فعلق الإمام على ذلك قائلا]:

هذا القول باطل ظاهر البطلان، وكأنه لذلك لم يتعرض المصنف لرده، لكن لا بد لنا في هذا التعليق من الإشارة إلى بعض الآيات التي استدل بها أهل الحديث على بطلانه، فقد قالوا ما ملخصه: إن لفظة "جعل" لا تأتي بمعنى "خلق" كلما ذُكرت، وفي أي مكان وقعت، كقوله تعالى: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾، فليست هنا بمنى الخلق قطعاً، بل إن الله تعالى قد أضاف هذه اللفظة إلى بعض المخلوقين فقال في يوسف عليه السلام: ﴿جعل السقاية في رحل أخيه﴾ بل قال في المشركين: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾ فهل المعنى أن المشركين خلقوا الملائكة...؟! تعالى الله عن تفسير المبتدعة لكلامه علواً كبيراً.

فإذا تبين هذا كان لا بد من تفسير اللفظة المذكورة بالنظر إلى الموضع الذي وردت فيه، فإذا كان قوله تعالى: ﴿جعلنا قرآناً عربياً﴾ إنما هو القرآن قطعاً، وكان القرآن من كلامه تعالى قطعاً، وكان كلامه صفة من صفاته، وصفاته تعالى كلها أزلية غير مخلوقة كذاته، لم يجز حينئذ أن تُفسَّر هذه اللفظة بما ينافي هذه الأمور المقطوع بها، قالوا: فالمعنى: إن الله تعالى لما كان يعلم الألسنة كلها وهو قادر على أن يتكلم بما شاء منها متى شاء، فإن شاء تكلم بالعربية، وإن شاء تكلم بالعبرية، قال ﴿جعلناه قرآناً عربياً﴾ أي جعله عربياً من كلامه، كما جعل التوراة والإنجيل عبرياً من كلامه، ذلك لأنه أرسل كل رسول بلسان قومه ليبين لهم، كما قال تعالى في كتابه، فمعنى قوله "جعلناه": صرّفناه من لغة إلى أخرى، وليس خلقناه. "انظر الرد على المريسي" (ص ١٢٣ - ١٢٤).

"مختصر العلو" (ص ١٧٥).

## [٢١] باب التحذير من كتاب

### لبعض أهل البدع انتصر فيه للقول بخلق القرآن

[قال الإمام:]

من غرائب هذا الزمان وعجائبه أن يتجرأ أحد الإباضيين وهو الشيخ أحمد بن حمد الخليلي ويؤلف كتاباً سماه بغير اسمه: "الحق الدامغ"! انتصر فيه لمذهبه في إنكارهم رؤية المؤمنين لربهم في الجنة، وقولهم بخلق القرآن، وبخلود أهل الكبائر في النار. وقد سلك فيه طريقة أسلافه من المعتزلة وغيرهم من أهل الأهواء في تأويل أدلة أهل السنة، وجعلها ظنية الدلالة أو الثبوت، فيقول مثلاً فيما كان من القرآن وأخرجه عن دلالته الظاهرة على الأقل: "والدليل إذا اعتراه الاحتمال سقط به الاستدلال"! (ص ٥٠) وغيرها.

وأما ما استدل به هو من الآيات فتأولها؛ لتوافق مذهبهم؛ كمثل تأويله لقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة﴾؛ فإنه تأول قوله: ﴿ناظرة﴾ أي: منتظرة! ومع ذلك فهي عندهم قطعية! وفيما كان من السنة والحديث وتبين له أن التأويل غير ناجح فيه استعمل فيها معول الهدم، وهو قوله (ص ٦٢):

"ومهما يكن فإن هذه الأحاديث آحادية، والآحادي لا تنهض به حجة في الأمور الاعتقادية...!" شنشنة نعرفها من أخزم، يلهج بذلك أهل

الأنواء والبدع في كل زمان، وبخاصة زماننا هذا الذي كثرت فيها الفرق والطوائف! (وكل يدعي وصلاً بليلى وليلى لا تقرر لهم بذاكا)! وإن عجبني من هؤلاء لا يكاد ينتهي، يردون الاستدلال بالأحاديث الصحيحة بتلك الحجة الواهية، ومن جهة أخرى هم يستدلّون بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، وما لا أصل له في السنة الصحيحة؛ بل وبالأثار الموقوفة الواهية، وكتاب الخليلي المذكور آنفاً مشحون بما لا يصح من المرفوع والموقوف.

"الضعيفة" (٩٢٥/٢/١٢).

## [ ٢٢ ] باب دفع تهمة القول بخلق القرآن عن أبي حنيفة

### وذكر بعض العقائد الضالة في كلام الله تعالى

[قال الإمام:]

في " التاريخ " [أي تاريخ بغداد] روايات.. عدة أن أبا حنيفة كان يقول: القرآن مخلوق. إلا أنني دققت النظر في بعضها فوجدتها لا يخلو من قاذح، ولعل سائرهما كذلك، لاسيما وقد روى الخطيب عن الإمام أحمد أنه قال: لم يصح عندنا أن أبا حنيفة كان يقول: القرآن مخلوق.

قلت: وهذا هو الظن بالإمام أبي حنيفة رحمه الله وعلمه، فإن صح عنه خلافه، فلعل ذلك كان قبل أن يناظره أبو يوسف كما في الرواية الثابتة عنه في الكتاب، فلما ناظره ولأمر ما استمرت مناظرته ستة أشهر، اتفق معه أخيراً على أن القرآن غير مخلوق، وأن من قال: "القرآن مخلوق" فهو كافر.

وهذا في الواقع من الأدلة الكثيرة على فضل أبي حنيفة فإنه لم تأخذه العزة، ولم يستكبر عن متابعة تلميذه أبي يوسف حين تبين له أن الحق معه، فرحمه الله تعالى ورضي عنه.

ولكن مما يؤسف له أشد الأسف، أن كثيراً من أتباعه، وبخاصة المتأخرين منهم، قد تأولوا كلامه هذا بما يعود إلى رده وذلك بحمله على

الكلام النفسي، كما قد سبقت الإشارة إلى ذلك - فيما أظن، فهذا الشيخ الكوثري - حامل راية الخلف، والطعن في السلف - يعلق على مناظرة أبي يوسف لأبي حنيفة، فيقول بعد أن ذكر المذاهب في كلام الله تعالى، ونبز أهل الحديث بالحشوية لقولهم بأن كلام الله تعالى بحرف وصوت وأنه لا عبرة بخلافهم!! قال:

"فبقي النزاع بيننا وبين المعتزلة (!)، وهو في التحقيق عائد إلى إثبات كلام النفس ونفيه، وأن القرآن هو، أو هذا المؤلف من الحروف الذي هو كلام حسي (أي مسموع) أولاً، فلا نزاع لنا في حدوث الكلام الحسي، ولا لهم في قدم النفسي لو ثبت. وعلى البحث والمناظرة في ثبوت الكلام النفسي وكونه هو القرآن ينبغي أن يحمل ما نقل من مناظرة أبي حنيفة وأبي يوسف ستة أشهر، ثم استقر رأيهما على أن من قال بخلق القرآن فهو كافر!"

وهكذا التقى الكوثري مع المعتزلة في إنكار أن القرآن كلام الله تبارك وتعالى، ولكن بطريقة اللف والدوران منه ومن أمثاله ممن يتظاهرون بأنهم من أهل السنة والجماعة!! وما تخفي صدورهم أكبر، فإنهم يقولون بالكلام النفسي، وهو غير مسموع، ولذلك فإنهم إذا سئلوا من الذي تكلم بالقرآن أولاً، ومن الذي سمعه منه؟ أولاً، فإنهم لا يحIRON جواباً، والحقيقة أن النفاة لكلام الله تعالى إنما يرجع قولهم إلى أن القرآن ليس كلام الله، وإذا كان كذلك فسواء كان أول من تكلم به بكلام مسموع هو جبريل أو محمد عليهما السلام، فإن قولهم يلتقي مع كفار قريش

الذين حكى الله عنهم أنهم قالوا في القرآن: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾<sup>١</sup> فإنهم إن لم يقولوا مثلهم إنه قول البشر، فهم قائلون ولا بد إنه قول جبريل أو غيره من الخلق، فهم مشتركون معهم في الغرض من قولهم ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ أنه ليس من كلام الله تعالى، فالله المستعان على هذا الضلال الذي وصل إليه كثير من الخلف، وتلك عقوبة لهم من الله تعالى لانحرافهم عن مذهب السلف وأهل الحديث حشرنا الله في زميرتهم، وأماتنا على ملتهم، من أجل ذلك قال وكيع بن الجراح:

"لا تستخفوا بقولهم: "القرآن مخلوق؛ فإنه من شر قولهم، وإنما يذهبون إلى التعطيل"! رواه البخاري في "أفعال العباد" (ص ٧١) وقال البيهقي عقبه (ص ٢٥٤):

"وقد روينا نحو هذا عن جماعة آخرين من فقهاء الأمصار وعلمائهم رضي الله عنهم، ولم يصح عندنا خلاف هذا القول عن أحد من الناس في زمان الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين".

"مختصر العلو" (ص ١٥٦ - ١٥٧).

## [٢٣] باب شرح قول أحمد:

### "من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي"

[قال الذهبي في العلو]: يقول الإمام أحمد: "من قال: لفظي بالقرآن مخلوق - يريد القرآن - فهو جهمي".

[قال الإمام معلقاً على هذا الأثر]:

رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" (ص ٢٩) عن أبيه نحوه. أخرجه البيهقي في "الأسماء" (ص ٢٦٦) بإسناد صحيح، وقال:

"قلت: هذا تقييد حفظه عنه ابنه عبد الله، وهو قوله: "يريد القرآن"، فقد غفل عنه غيره ممن حكى عنه في اللفظ خلاف ما حكينا حتى نسب إليه ما تبرأ منه فيما ذكرنا".

قلت: وفي قوله: "فقد غفل عنه غيره..." نظر؛ لأن حقيقة الأمر أن الإمام أحمد كان يطلق ذلك في كثير من الأحيان، وممن روى ذلك عنه ابنه عبد الله نفسه كما يأتي في الكتاب، وكذا أبو داود كما سأبينه قريباً فهل يجوز أن ينسب إلى الغفلة؟! فالحق أن أحمد أطلق غالباً، فحفظه عنه جمع، وقيد مرة بياناً ودفعاً لما قد يتوهم من الإطلاق أن نطقنا بالقرآن ليس من أفعالنا، وهذا خلاف ما هو مقرر عند أهل السنة أن أفعال العباد - ومنها النطق - مخلوقة كما شرحه الإمام البخاري رحمه الله تعالى في

كتابه "خلق أفعال العباد" بأدلة قاطعة من الكتاب والسنة، وأقوال السلف. فبين الإمام أحمد رحمه الله تعالى بهذا القيد أنه لا يعني نطق التالي، فإنه مخلوق، وإنما يريد كلام الله تعالى، وبهذا يتفق الإمام مع تلميذ البخاري الذي كان يفرق بين التلاوة والتمتلو، كما حكاه البيهقي وغيره، وقال: "ومسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى كان يوافق البخاري في التفصيل".

وهو الذي شرحه المصنف رحمه الله تعالى، وأحسن في ذلك، وبين السبب في فرار الإمام أحمد - في أكثر الروايات عنه - ومن وافقه من القول بالتفصيل المذكور والله عاقبة الأمور. وراجع له كلام الإمام الجويني في رسالته في "الاستواء" (ص ١٨٤) فإنه مهم.

"مختصر العلو" (ص ٢١١)

## [ ٢٤ ] باب هل يجوز القول بأن لفظنا بالقرآن مخلوق

السائل: هل يجوز القول بأن لفظنا بالقرآن مخلوق؟

الشيخ: هذه المسألة في اعتقادي لا حاجة ولا مبرر لإثارتها في العصر الحاضر؛ لأنها قد تكون سبباً لإساءة فهم السامعين لهذه الكلمة، سواء أُثبتت أو نفيَت، فإذا قيل: لفظي للقرآن مخلوق، ممكن أن يؤخذ على أن القرآن نفسه مخلوق، وهذا ما وقع في إمام المحدثين في زمانه، وهو الإمام البخاري، فكبار أصحابه وكثير من حفاظ الحديث خاصموه وعَادُوهُ؛ لأنه قال هذه الكلمة، والآن نحن لسنا في هذا الصدد وفي هذا العصر؛ ذلك لأن جماهير المسلمين اليوم حينما يشاركوننا في الاعتقاد بأن القرآن كلام الله، وكلام الله غير مخلوق، هم يفسرونه بتفسير معروف في كتبهم؛ بأن كلام الله تبارك وتعالى نفسي وليس كلاماً لفظياً مسموعاً عند المصطفين الأخيار، فالخلاف الآن الموجود يكفيننا ولا نريد أن نشير خلافاً قديماً كان بين أهل السنة أنفسهم، فالخلاف الموجود اليوم بين أهل السنة وأتباع أهل الحديث والمخالفين لهم، ممن ينتمون إلى مذهب الماتريدي أو الأشعري هذا الخلاف يكفيننا، فما يجوز [نُشيرَه] بيننا نحن الذين نقول بأن كلام الله عز وجل كلام حقيقي مسموع كما في الآية الكريمة: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (طه: ١٣).

أما: هل يجوز لي أن أقول: لفظي بالقرآن مخلوق؟

ما الذي يترتب من وراء هذا وخاصة في العصر الحاضر، فهو في اعتقادي وهذا خلاصة جوابي: إنه غير ذي موضوع الآن في العصر الحاضر، أما إذا كان إنسان - فرد من الأفراد - عنده شبهة أو إشكال حول هذه الكلمة سلباً أو إيجابياً، ممكن هذا البحث معه على انفراد، أما نشرها جماعية هكذا بين الناس ويمكن أكثرهم فكره خالي عن هذا الموضوع إطلاقاً، سواء قيل بأنه يجوز بمعنى كذا، أو لا يجوز إذا كان بمعنى كذا.

هذا جوابي عن هذا السؤال.

"الهدى والنور" (٢٤٧ / ٣٠ : ٣٢ : ٠٠)

## [ ٢٥ ] باب حكم قول القائل: قولنا بالقرآن مخلوق

السؤال: يقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله في «الفقه الأكبر»، ينقل ذلك صاحب الطحاوية بالنسبة للقرآن الكريم يقول: «والقرآن على الألسنة مقروء، وفي الصدور محفوظ» إلى آخر قوله يقول وهذا الشاهد إن شاء الله، يقول: «وقولنا بالقرآن مخلوق».

يقول الحكمي عالم من علماء السعودية رحمه الله يقول: «من قال: قلبي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع»، ومعلوم الاثنين عقيدتهم سلفية الحمد لله ومن العلماء الأجلاء، فما القول في أقوال العلماء؟

الشيخ: يختلف الأمر أخي بين القصد، وهذا الخلاف الواقع بين الإمام البخاري وإمام المحدثين، والإمام الذهلي أيضاً من كبار أئمة الحديث في بخارى، حتى قام الذهلي على البخاري واضطره إلى أن يهجر بلده، المسألة فيها دقة من حيث التعبير، وما كنت أحب أن يقال مثل هذا السؤال في مثل هذا الجمع؛ لأنه أشبه ما يكون الجواب بالفلسفة، وقد تشرّد بعض الأذهان عن المراد بهذا الكلام فيقع المحذور الذي يقول: أن من قال لفظي بالقرآن فهو جهمي، تقع هذه المشكلة نفسها، لماذا قال الإمام أحمد هذه الكلمة أو غيره؟

لأنه هذه ذريعة ليقول القائل: أن القرآن مخلوق، ذريعة.. خطوة، أما التدقيق وهو الذي عناه البخاري أنه أنا تلفظي أنا فأنا تلفظي حادث بلا شك، وأنا أتلّظ بالقرآن الآن فأقول: (ألم) تلفظي أنا هو حادث

ومخلوق، لكن لما أقول: أنا لفظي بالقرآن مخلوق، قد يفهم بعض الناس أن القرآن نفسه هو المخلوق، وبخاصة أن ذلك الزمن كان زمن الصولة والدولة للمعتزلة، فأراد الإمام أحمد قطع دابر كل وسيلة يؤدي إلى تأييد الجهمية والمعتزلة ونحو ذلك، والآن إذا عرفنا قصد المتكلم كما أقول أنا الآن لفظي أنا لما أقول: أنا (ألم) لفظي أنا، هذا مخلوق لأنني أنا مخلوق، لكن الله الذي تكلم به فكلامه غير مخلوق، هذا هو المقصود.

"الهدى والنور" (٢٦١ / ١١ : ٠٩ : ٠٠)

## [٢٦] باب الواقفة في القول بخلق القرآن ليسوا جهمية

### كلهم

[قال الإمام]:

ولقد رأيت الحافظ الذهبي رحمه الله قد أنصف إسحاق [ابن أبي إسرائيل] هذا في ترجمته إياه في "السير" فقال في آخرها (١١/٤٧٧ - ٤٧٨):

"قلت: أذاه ورعه وجموده إلى الوقف، لا أنه كان يتجهم؛ كلا". ثم

روى

عنه أنه قال:

"لم أقل على الشك، ولكني سكت؛ كما سكت القوم قبلي".

قلت: فهو على هذا سلفي المنهج؛ فهو مأجور إن شاء الله تعالى، وغاية ما يمكن أن يقال في مثله؛ أنه أخطأ في وقفه وجموده؛ لعدم انتباهه إلى أن الوقوف ينفع فيما لو لم يجهر المبتدعة بالقول بخلق القرآن، ففي هذه الحالة لا بد من إنكار ذلك؛ لأنه على الأقل مخالف لما كان عليه السلف. والله أعلم.

"الضعيفة" (١٣/٤٧٧ - ٤٧٨).

## [ ٢٧ ] باب هل يلزم من سؤال

"هل القرآن مخلوق" أن السائل يقول بخلق القرآن؟

[قال الإمام:]

لا يخفي أن مجرد السؤال عن القرآن: "هل هو مخلوق"، لا يلزم منه أن السائل يقول به؛ لاحتمال أنه يقول بخلافه، وإنما سأل عنه للاستزادة من علم المسؤول. والله أعلم.

"مختصر العلو" (ص ١٦٢).

## [ ٢٨ ] باب حكم قول بعضهم: القرآن يُقَصُّ ...

مداخلة: بعضهم يقول هذا القرآن يقص...

الشيخ: هذا الذي يقال هنا: مجاز، أن هذا القرآن الذي هو كلام الله يقص عليكم كذا.

مداخلة: .....

مداخلة: ... على المجاز.

الشيخ: أقول المجاز: ليس على اصطلاحهم وإنما على الاصطلاح أن المجاز في بعض المواطن هو الحقيقة؛ لأن حينما قسموا الكلام إلى حقيقة أو مجاز، قالوا: الحقيقة هو المعنى الذي يتبادر في الذهن أول ما يسمع الكلام، فإذا انصرفوا عنه إلى معنى غير متبادر سموه تأويلاً ولا بد للمصير إلى التأويل في هذه الحالة من قرينة، كما يقولون: إما أن تكون القرينة نقلية أو عقلية، لكن حينما تكون الجملة التي سموها مجازاً الذي يتبادر من الجملة هو المعنى المسمى مجازاً فهو الحقيقة وللمثال على ذلك مما حفظته من كلام ابن تيمية - رحمه الله - والآية الكريمة: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾ (يوسف: ٨٢) فهنا لا يتبادر لأي عربي المعنى الذي يسمونه حقيقة، أي: القرية هذه في ترابها وجبالها وأنهارها وإنما يتبادر من النص القرآن هذا المعنى الذي يسمونه مجازاً، فإذا تسميتهم لمثل هذا المعنى بالمجاز اصطلاح خاص لا يغاير المعنى الذي هو الحقيقة في

اصطلاحهم فما يسمونه مجازاً في بعض المواطن هو الحقيقة، فالآن هنا: لا يتبادر إلى الذهن أن القرآن هو ذات يتكلم فيقص، لكن يتبادر المعنى الذي ذكرته آنفاً.

وهكذا مثلاً ضرب مثلاً آخر ابن تيمية رحمه الله فيما إذا قال العربي: سرت والقمر فيقولون: هذا مجاز؛ لأن القمر في السماء وهو في الأرض، لكن هل أحد يفهم ويتبادر لذهنه: أنه سار والقمر بجانبه واضع يده ونحو ذلك من المعاني التي تفهم فيما لو قال: سرت مع فلان من البشر؟ طبعاً لا، إذًا: المعنى الحقيقي يتناسب مع المتحدث عنه فيه مما... يطابق الواقع، فهنا: سرت والقمر، هذا مجاز.. مجاز في اصطلاحهم؛ لأنه ما هو الحقيقة؟ الحقيقة أنه في مكان واحد.. في أرض واحدة، لكن هذا المعنى لا يتبادر إلى الذهن إطلاقاً، وليس هناك إلا معنى واحد هو المعنى الذي سماه مجازاً وهو الحقيقة التي أرادها الله فيما إذا جاء بها... ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر: ٢٢).. ﴿تُعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ (المعارج: ٤) إلى آخره فهذه الآية تشبه هذه الآيات، يسمونه مجازاً في اصطلاحهم، لكن هي الحقيقة باصطلاح أهل السنة .

## [ ٢٩ ] باب شفاعة القرآن

[قال الإمام]:

أما شفاعة النبي ﷺ فتأبته بالتواتر، وأما شفاعة القرآن ففيها أحاديث فانظر "الصحيح" [صحيح الجامع] (١١٦٥).

"ضعيف الجامع" (ص ٥٠٣).

## [ ٣٠ ] باب ذكر بعض أهل الضلال

### ممن طعن في قرآن رب العالمين

[قال الإمام:]

هناك مع الأسف الشديد بعض الفرق الإسلامية تقول: بأن القرآن الموجود الآن بين أيدي المسلمين هذا جزء من مصحف فاطمة عليها السلام، حيث أن مصحف فاطمة زعموا ضاع، وهذا الذي بقي لدينا هو الربع كذبوا، إنما القرآن كما أنزله على قلب محمد عليه الصلاة والسلام فهو بين أيدي المسلمين اليوم.

"الهدى والنور" (٧٠٥/٤١: ٠٠: ٠٠)

## الفهرس

- رسالة في إثبات صفة الكلام لله تعالى..... ٢
- [١] باب كلام الله حقيقي يُسمع بحرف وصوت، وبين بطلان قول الأشاعرة في ذلك..... ٣
- [٢] باب إثبات الكلام لله تعالى وذكر بعض من نفاه..... ٦
- [٣] باب من أدلة إثبات صفة الكلام..... ٨
- [٤] باب القرآن كلام الله..... ٩
- [٥] باب القرآن كلام الله والرد على من خالف ذلك..... ١٢
- [٦] باب هل التوراة والإنجيل كلام الله؟..... ١٥
- [٧] باب التوراة محرفة..... ١٦
- [٨] باب بيان عقيدة أهل السنة في كلام الله تعالى وضلال من خالفهم..... ١٧
- [٩] باب شرح قول سفيان: "القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود"..... ١٨
- [١٠] باب الصوت الإلهي والإيمان به..... ١٩
- [١١] باب الدليل على أن الله تعالى يتكلم بصوت..... ٢١
- [١٢] باب هل يوصف كلام الله تعالى بالقدم..... ٢٢
- [١٣] باب بيان مذهب الأشاعرة في صفة الكلام..... ٢٣
- [١٤] باب منه..... ٢٤
- [١٥] باب معنى ما ينسب لأبي حنيفة من قوله: "الله يتكلم بلا آلة ولا حروف، والحروف مخلوقة، وكلام الله تعالى غير مخلوق"، والكلام على أقسام التوحيد وما يقابله من الشرك..... ٢٦
- [١٦] باب هل يُقال: القرآن غير مخلوق؟..... ٤٩
- [١٧] باب ذكر أقدم من صرح بأن القرآن غير مخلوق..... ٥٠
- [١٧] باب هل القول بخلق القرآن من الكفر البواح..... ٥٢
- [١٨] باب منه..... ٥٤
- [١٩] باب ذكر دور ابن أبي دؤاد في فتنة خلق القرآن..... ٥٥

- [٢٠] باب الرد على من استدل على خلق القرآن بقوله تعالى: (إنا جعلناه قرآنا عربيا) فقال:  
المجعول لا يكون إلا مخلوقا ..... ٥٦
- [٢١] باب التحذير من كتاب لبعض أهل البدع انتصر فيه للقول بخلق القرآن ..... ٥٨
- [٢٢] باب دفع تهمة القول بخلق القرآن عن أبي حنيفة وذكر بعض العقائد الضالة في كلام الله  
تعالى ..... ٦٠
- [٢٣] باب شرح قول أحمد: "من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي" ..... ٦٣
- [٢٤] باب هل يجوز القول بأن لفظنا بالقرآن مخلوق ..... ٦٥
- [٢٥] باب حكم قول القائل: قولنا بالقرآن مخلوق ..... ٦٧
- [٢٦] باب الواقفة في القول بخلق القرآن ليسوا جهمية كلهم ..... ٦٩
- [٢٧] باب هل يلزم من سؤال "هل القرآن مخلوق" أن السائل يقول بخلق القرآن؟ ..... ٧٠
- [٢٨] باب حكم قول بعضهم: القرآن يقصُّ ..... ٧١
- [٢٩] باب شفاعة القرآن ..... ٧٣
- [٣٠] باب ذكر بعض أهل الضلال ممن طعن في قرآن رب العالمين ..... ٧٤
- الفهرس ..... ٧٥